الاستيطان والجدار

واقع الاستيطان الصهيوني في محافظة طوباس والأغوار الشمالية

مركز رؤية للتنمية السياسية

2022

العنوان: واقع الاستيطان الصهيوني في محافظة طوباس والأغوار الشمالية

السلسلة: الاستيطان والجدار

الكاتب: وليد زايد

الشهر/ السنة: 2022/01

جميع الحقوق محفوظة لمركز رؤية للتنمية السياسية © 2022

يسعى مركز رؤية للتنمية السياسية أن يكون مرجعية مختصة في قضايا التنمية السياسية وصناعة القرار، ومساهماً في تعزيز قيم الديمقراطية والتعددية والاعتدال والتسامح، ويسعى المركز إلى تنمية القدرات والإمكانيات السياسية لدى الأفراد والجماعات والأحزاب في المنطقة، بما يخدم بناء مجتمعات ودول مدنية وديمقراطية قائمة على مبادئ حق تقرير المصير والحرية، وبما يساعد على نبذ العنف والتطرف، والمساهمة في إنجاز الشعوب لحقوقها السياسية والمدنية، لاسيما الشعب الفلسطيني.

يهدف المركز إلى مساعدة الكفاءات العلمية والبحثية في مجال العلوم الإنسانية في تطوير مهاراتها وتنميتها، وتوفير الدعم السياسي والأكاديمي للفلسطينيين، ورعاية الطاقات الثقافية، وتنمية المهارات السياسية لدى الشباب، ويسعى إلى فهم قضايا المجتمع المدني، وتمكين المرأة من خلال أدوات البحث العلمي في الحقول الاجتماعية والإنسانية والسياسية.

Vision Center for Political Development

Tel: +90 2126310107

www.vision-pd.org/

تمهيد

تعتبر محافظة "طوباس والأغوار الشمالية"، الواقعة شمال الضفة الغربية، وتحديدًا شمال شرق محافظة نابلس، جزءًا من منطقة الأغوار، إذ إنها تضم الأغوار الشمالية التي تمتد من شمال شرق محافظة نابلس، وصولًا إلى الحدود مع الأردن. ويعود أصل تسمية طوباس بهذا الاسم إلى بلدة كنعانية اسمها "تاباص"، وتعني الضياء، كما سماها ثيبس في عهد السيطرة الرومانية على فلسطين. أما الاسم الحالي للمدينة، فكان قد أطلقه عليها المسلمون (الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني ، 2011).

أما مساحة المحافظة، فتبلغ 408 كم^2. وتبعد مدينة طوباس عن نهر الأردن 45 كم، فيما تبعد عن مدينة نابلس 25 كم، وتبلغ مساحة محافظة طوباس ما نسبته 7.1% من مجمل مساحة الضفة الغربية، وتضم هذه المحافظة 21 تجمعًا سكانيًا (الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، 2011).

أما عدد السكان في المحافظة عام 2021، فقد بلغ 65,915 مواطنا، أي ما نسبته 1.3% من عدد الفلسطينيين في الضفة الغربية وقطاع غزة، في حين بلغ عدد سكان مدينة طوباس 23,186 نسمة، أي ما نسبته 35% من مجمل سكان المحافظة (الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، 2021). وبخصوص الزيادة السكانية في المحافظة، فقد بلغ عدد سكانها عام 1922 نحو 34 ألفًا، وعام 2007 نحو 49 ألفًا، وصولًا إلى نحو 66 ألفًا عام 2017 (الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني ، 2018).

وبخصوص الزيادة السكانية في مدينة طوباس نفسها، فقد بلغ عدد سكان المدينة عام 1922 نحو 3500 نسمة، وقبل النكبة عام 1945 وصل لنحو 5500 نسمة، وقد تضاعف العدد عام 1987 ليصل لأكثر من 10 آلاف نسمة، أما عام 2007 فقد وصل لنحو 15 ألف نسمة، قبل أن يصل عدد سكان المدينة في عام 2018 لنحو 23 ألف نسمة (الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني ، 2018).

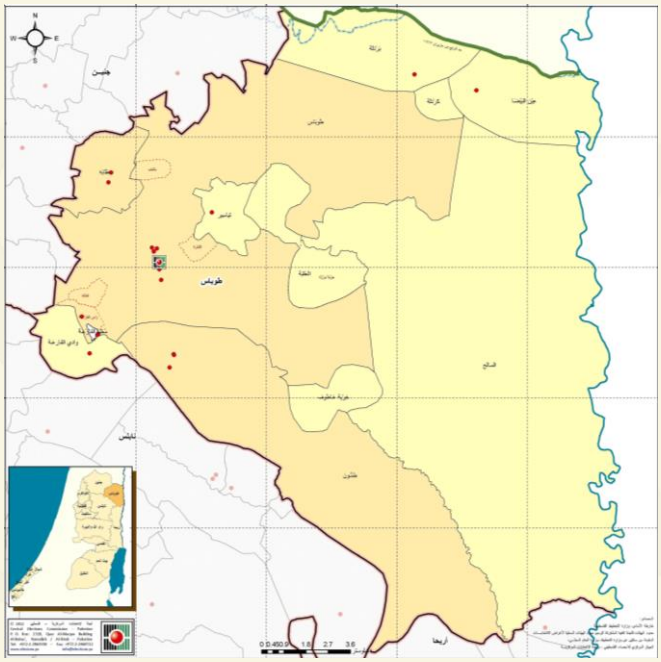

خريطة رقم (1): حدود محافظة طوباس والتجمعات السكانية فيها. المصدر: لجنة الانتخابات المركزية (2012).

تعد محافظة طوباس، كونها جزءًا من منطقة الأغوار الشمالية، من أكثر المحافظات التي "تتفشى" فيها المناطق المصنفة (ج)، حيث بلغت مساحتها 320 كم²، أي ما يساوي 78.4% من أراضي المحافظة، وتفرض فيها قوات الاحتلال سيطرتها الأمنية الكاملة، ويعيش في هذه المناطق الشاسعة نحو 1% فقط من السكان. أما المناطق المصنفة (ب)، فتبلغ مساحتها 20.8 كم²، أي ما يساوي 5.1% من أراضي المحافظة، ويقطنها من الفلسطينيين نحو 3,300 نسمة، أي ما نسبته 5% من مجمل سكان المحافظة. أما المناطق المصنفة (أ)، فتنحصر في حدود المدينة الواقعة في أقصى غرب أراضي المحافظة، وهي على تماس مع منطقة الأغوار الشمالية، وتبلغ مساحتها 67.4 كم²، أي ما يعادل 16.5% من مساحة المحافظة، ويعيش في هذه المناطق حوالي 62 ألف نسمة، أي ما يعادل نحو 94% من مجمل سكان المحافظة (وزارة الحكم المحلي،2021؛ OCHA,2021)

جدول رقم (1): تصنيف أراضي وسكان محافظة طوباس والأغوار الشمالية بحسب اتفاقية أوسلو

المنطقة	المساحة / كم²	النسبة المئوية من أراضي المحافظة %	عدد السكان التقديري	النسبة المئوية للسكان %
مناطق (أ)	67.4	16.5	61,960	94.1
مناطق (ب)	20.8	5.1	3,295	4.9
مناطق (ج)	320.1	78.4	660	1
المجموع	**408.3**	**%100**	**65,915**	**%100**

المصدر: وزارة الحكم المحلي(2021) والجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني (2021) و OCHA (2021)

يلاحظ من خلال تتبع الخريطة رقم (2)، التي توضح تقسيم المناطق في المحافظة، أن التركز السكاني الفلسطيني يميل للجهة الغربية من أراضي المحافظة، وفيها تتركز الأراضي المصنفة (أ) و(ب)، أي أن الاحتلال عمد خلال اتفاق أوسلو، إلى بسط فكرته الاستيطانية في محافظة طوباس، وإبعاد الكثافة السكانية والتجمعات السكنية الفلسطينية، عن منطقة الأغوار الشمالية قدر الإمكان، وإبقائها بعيدة عن منطقة الحزام الاستيطاني والحدود مع الأردن، وهذا يتبين أيضًا من خلال نوعية السكان الفلسطينيين المتبقين في مناطق (ج)، وهم الفلسطينيون البدو، الذين يعيشون في مناطق صغيرة في الأغوار، مثل منطقة البرج أو خربة السمرة.

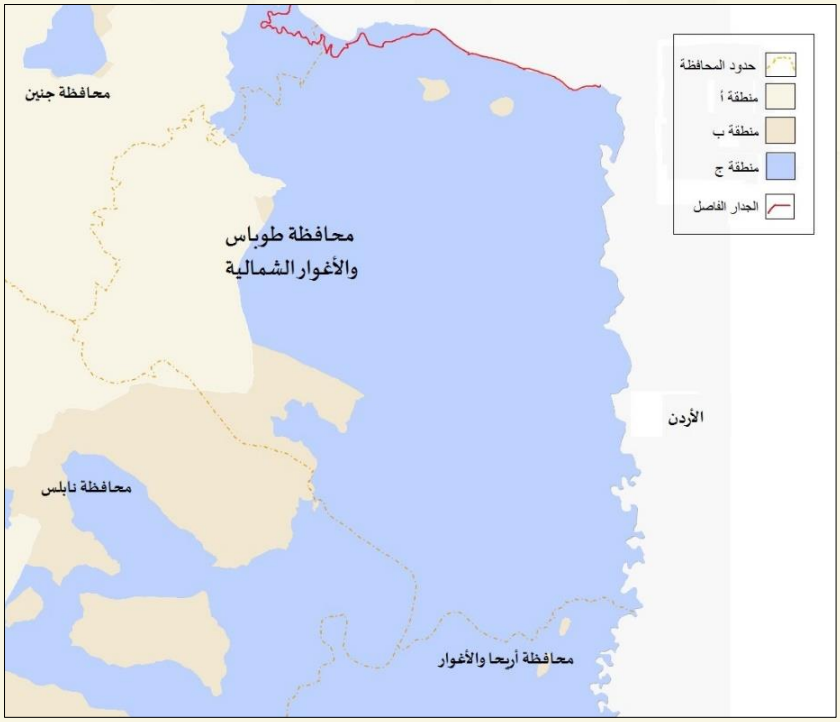

خريطة رقم (2): محافظة طوباس حسب تقسيمات اتفاقية أوسلو. المصدر: (OCHA, 2021)

أخذت العملية الاستيطانية في محافظة طوباس، كغيرها من المحافظات في الضفة الغربية، العديد من الأشكال، رغم طغيان العامل العسكري على إقامة المستوطنات واستقدام المستوطنين. ولعل الدوافع التي يرتكز عليها الاحتلال في عمليته الاستيطانية في المحافظة، تتشابه مع عدد من الدوافع في المحافظات الأخرى، إلى جانب وجود منطقة حدودية مع الأردن غرب محافظة طوباس والأغوار الشمالية، تمتد على طول نحو 33 كيلومتر، وتبسط حكومة الاحتلال سيطرتها عليها، وتفرض منطقة عازلة حدودية على طول هذه المسافة، بلغت مساحتها من أراضي محافظة طوباس نحو 25 ألف دونم (25 كيلومتر مربع)، وذلك لزيادة السيطرة على المنطقة الحدودية. الدافع الثاني هو السيطرة على المواقع التاريخية الموجودة في محافظة طوباس على شكل خرب (خربة جباريس، خربة البرج، حمامات المالح، خربة الدير)، ومناطق تحتوي على آثار تعود للفترتين الكنعانية والرومانية، مثل الأراضي المرصوفة بالفسيفساء في خربة جباريس (ماس، 2017).

مصادرة الأراضي الزراعية، والسيطرة على الآبار ومصادر المياه، هي الدافع الثالث في العملية الاستيطانية، إذ صادر الاحتلال نحو ألف دونم من الأراضي الزراعية لتصبح خلف الجدار (معهد أريج، 2018أ). كما أن الاحتلال يحرم

الفلسطينيين من المياه في محافظة طوباس، ويصادرها لصالح ضخها في المستوطنات هناك، ففي عام 2011، بلغت كمية المياه المخصصة للزراعة في المستوطنات المقامة على أراضي محافظة طوباس، نحو 41 مليون متر مكعب (معهد أريج، 2018أ). بينما بلغت كمية المياه التي تم ضخها خلال عام 2016 في محافظة طوباس، نحو 829.5 متر مكعب فقط، أي أن حصة المياه للزراعة في المستوطنات تصل إلى نحو 41 ألف ضعف كمية المياه التي تضخ للفلسطينيين في المحافظة (بيتسيلم، 2018أ). لهذا لا يعمل أصحاب الأراضي الفلسطينيون في محافظة طوباس على زراعة أراضيهم؛ لقلة العائد منها، وارتفاع التكاليف، وشح المياه الواصلة إلى الأراضي الزراعية، ومنْع الاحتلال بناء الآبار، مما يضطر المواطن الفلسطيني لتأجير أرضه لصالح مزارعين، مقابل نسبة من ريعها، وقد تبين أن 50% من أراضي محافظة طوباس الزراعية، تسير بهذه الآلية؛ نظرًا لعدم انتظام وجود المياه، ومحدوديتها، وارتفاع تكاليف عملية الإنتاج الزراعي (ماس، 2017).

أولاً: التطور التاريخي للاستيطان الصهيوني في محافظة طوباس والأغوار الشمالية

تقع طوباس ضمن منطقة الحزام الاستيطاني الذي أقرته حكومة الاحتلال بعد عام 1967 في بداية العملية الاستيطانية، إذ أن بناء المستوطنات في طوباس كان بناء على الرؤية الأمنية الإسرائيلية لمنطقة الأغوار الشمالية، التي صاغها الوزير في حكومة الاحتلال بيغال ألون عام 1967، في خطة سُميت "مشروع ألون". المشروع شدد على أهمية امتلاك "إسرائيل" شريطًا يتراوح عرضه بين 10-15 كيلومترًا، يمتد من مدينة بيسان إلى شمال البحر الميت، مع تواجد حد أدنى من السكان العرب في المنطقة. إلى جانب ضرورة إقامة قواعد عسكرية ومستوطنات؛ لمتطلبات الحفاظ على الأمن (الموسوعة الفلسطينية، 2013).

أولى المستوطنات التي تم بناؤها على أراضي محافظة طوباس، كانت مستوطنة ميخولا، التي أقيمت بعد الاحتلال الكامل للضفة الغربية بعام واحد فقط، أي عام 1968، تلتها مستوطنة بيكاعوت في عام 1972، وقد أقيمت آخر مستوطنة على أرض المحافظة في عام 1986، وهي مستوطنة مسكيوت، ويبلغ مجموع المستوطنات في محافظة طوباس والأغوار الشمالية، 8 مستوطنات (Washington Institution, 2021)، وقد وصل مجمل مجموع الأراضي التي أقام الاحتلال عليها المستوطنات في المحافظة، إلى نحو 8,000 دونم، كما بلغت مساحة هذه المستوطنات حسب المخططات الهيكلية 12,700 دونم. ولكن من اللافت للنظر، أن مجمل مجموع الأراضي التي بنيت عليها القواعد العسكرية في المحافظة، وصل إلى 15 ألف دونم، أي أن مساحة المعسكرات والقواعد العسكرية، فاقت مساحة المستوطنات على الأرض، وهو ما لم يحدث في المحافظات الأخرى (معهد أريج، 2018أ).

يتضح من ذلك مدى اهتمام الاحتلال بتعزيز تواجده الأمني والعسكري على الأرض في محافظة طوباس، كما يتضح أن الأولوية لديه في بناء المستوطنات في منطقة الأغوار، ليست للإحلال الديموغرافي كما في القدس، وإنما للسيطرة على أكبر مساحة ممكنة من الأراضي، وذلك لأهداف أمنية وعسكرية، وللسيطرة على الموارد، وأهمها المياه، بأقل عدد من المستوطنين، حيث بلغ عدد المستوطنين في المحافظة عام 2020 نحو 2700 مستوطن، أي بمعدل 400 مستوطن لكل مستوطنة من مستوطنات محافظة طوباس، وهو العدد الأقل بالمقارنة مع باقي مستوطنات محافظات الضفة الغربية، حيث يبلغ متوسط عدد المستوطنين في مستوطنات القدس مثلاً، ما يقارب 11 ألف مستوطن.

جدول رقم (2): عدد المستوطنات الإسرائيلية المقامة تبعاً للفترة الزمنية

الفترة الزمنية	عدد المستوطنات المقامة
1968 -1972	1
1973 - 1977	2
1978 - 1982	3
1983 - 1987	5
المجموع	**7**

المصدر: Washington Institution (2021)

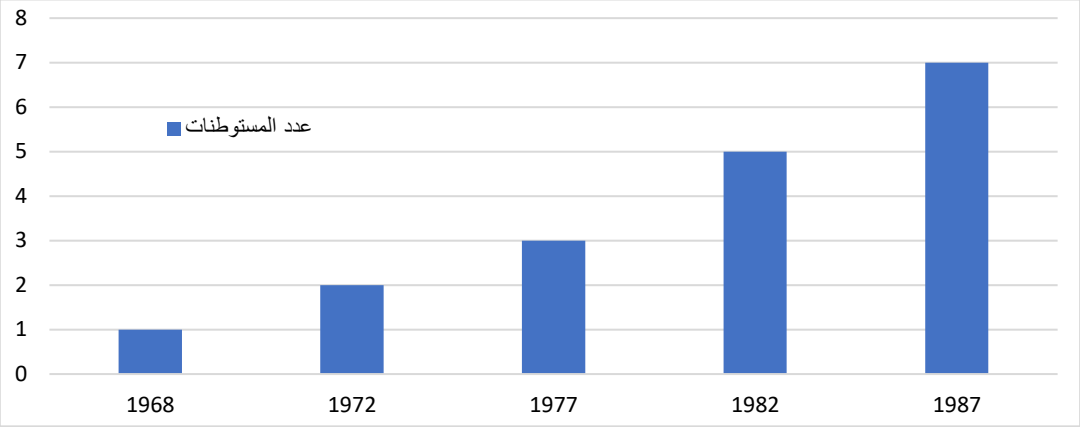

شكل رقم (1): عدد المستوطنات الإسرائيلية المقامة في محافظة طوباس والأغوار الشمالية تبعاً للفترة الزمنية

المصدر: Washington Institution (2021)

يلاحظ من الرسم البياني أعلاه، أن وتيرة بناء المستوطنات بقيت ثابتة منذ بداية الاستيطان بعد احتلال الضفة، وحتى نهاية الثمانينيات، وذلك بمعدل بناء مستوطنة واحدة كل 3 سنوات حتى عام 1987، الذي بنيت فيه آخر مستوطنة في المحافظة. أما أعداد المستوطنين في المحافظة، وكما يُظهر الجدول والرسم البياني التاليين، فهي الأقل في محافظات الضفة الغربية ، حيث كانت عمليات استقدام المستوطنين مرتبطة ببناء المستوطنات، لكن رغم ذلك، ظلت أعداد المستوطنين المستقدمين لهذه المنطقة قليلة، مقارنة بأعداد الذين استقدموا لمحافظات أخرى، مثل رام الله والبيرة وقلقيلية وغيرها. وقد كانت أكبر دفعة من المستوطنين استوطنت أراضي محافظة طوباس، هي 820 مستوطنًا بين عامي 1975-1978 (الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، 2020).

جدول رقم (3): عدد المستوطنين الإسرائيليين في محافظة طوباس والأغوار الشمالية (سنوات مختارة)

السنة	عدد المستوطنين
1970	516
1974	700
1978	1,520
1982	1,768
1986	2,251
2018	2,413
2021	2,916

المصدر: الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني (2020) و Washington Institution (2021)

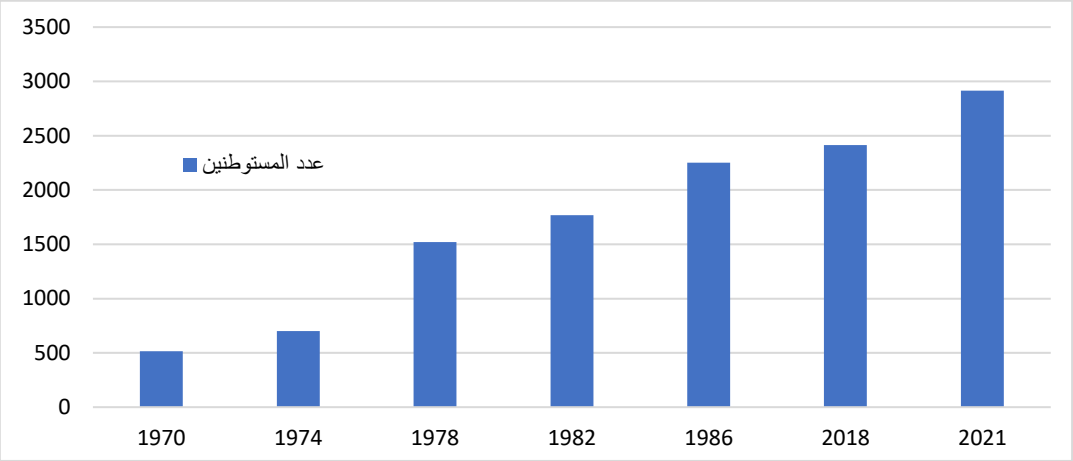

شكل رقم(2): تزايد عدد المستوطنين الإسرائيليين في محافظة طوباس والأغوار الشمالية في سنوات مختارة

المصدر: الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني (2020) و Washington Institution (2021)

يلاحظ من الرسم البياني أعلاه، أن وتيرة زيادة عدد المستوطنين في المحافظة، منذ احتلال الضفة الغربية وحتى اليوم، ، هي وتيرة ثابتة، حيث لا يلاحظ وجود قفزة في عدد المستوطنين، مقارنة بما قبل اتفاقية أوسلو، وما بعدها، الأمر الذي يدل على أن الأهمية الجغرافية لهذا المنطقة، بالنسبة للاحتلال، تسبق الأهمية الديمغرافية، ولعل أحد الأسباب التي تفسر ذلك، عدم رغبة المستوطنين في العيش في تلك المستوطنات البعيدة نسبياً عن مناطق الـ48، أو عن تلك المستوطنات التي تم ضمها بفعل الجدار لدولة الاحتلال.

ثانياً: أشكال الاستيطان الصهيوني في محافظة طوباس والأغوار الشمالية

المستوطنات

تم الاعتماد على الخريطة التفاعلية لمؤسسة واشنطن (Washington Institution, 2021)، والجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني (2020)؛ لمعرفة عدد المستوطنات، وموقعها في المحافظة، وسنة تأسيسها. وقد تم الاعتماد على بيانات الخريطة التفاعلية لمؤسسة أوتشا (OCHA, 2021)، لمعرفة الأراضي الفلسطينية المقامة عليها المستوطنات الإسرائيلية، ومساحة المستوطنات، والتوجه الأيديولوجي فيها. أما بخصوص عدد المستوطنين، فتم الاعتماد على الخريطة التفاعلية لمؤسسة واشنطن، حيث أنها تحتوي على المعلومات الأكثر تحديثاً مقارنة بالمصادر الأخرى. يبلغ العدد الكلي للمستوطنين في المحافظة 2,691 مستوطنا، وتبلغ المساحة التي بنيت عليها المستوطنات 7,972 دونما، أي ما نسبته 2% من مجمل المساحة الكلية للمحافظة.

جدول رقم (4): المستوطنات في محافظة طوباس والأغوار الشمالية

الرقم	اسم المستوطنة	الأراضي الفلسطينية المقامة عليها	الموقع الجغرافي في المحافظة	سنة التأسيس	المساحة التقديرية (دونم)	عدد المستوطنين	التوجه الأيديولوجي للمستوطنين
1	ميهولا أو ميخولا	قرية بردلة	شرق	1968	1,772	657	متدينون
2	بقعوت	بلدة طمون	جنوب شرق	1972	2,559	229	علمانيون
3	روعي	بلدة طمون	جنوب شرق	1976	1,587	172	علمانيون
4	شدموت مخولا	وادي المالح	شرق	1979	1,237	780	متدينون
5	حمدات	خربة مخول	جنوب شرق	1980	312	293	مختلط
6	روتم	وادي المالح	شرق	1983	72	249	مختلط
7	مسكيوت	وادي المالح	شرق	1986	433	311	متدينون
المجموع					**7,972**	**2,691**	

البؤر الاستيطانية

كما أن محافظة طوباس والأغوار الشمالية تختلف عن باقي محافظات الضفة الغربية، من ناحية عدد المستوطنات ومساحتها، والتواجد الاستيطاني السكاني فيها، الذي يعتبر الأقل في الضفة الغربية، فإن ذلك ينعكس أيضًا على عدد البؤر الاستيطانية في المحافظة، حيث أقام الاحتلال في المحافظة 4 بؤر استيطانية، تتبع للمستوطنات المقامة على أراضي المحافظة، كما يظهر في جدول رقم (5)، بالرغم من السيطرة الأمنية على 80% من أراضي المحافظة، والتواجد العسكري المكثف من خلال القواعد العسكرية. تعتبر البؤر الاستيطانية أداة استعمارية إضافية للسيطرة على المزيد من الأراضي، وتقديم الخدمات للمعسكرات المحيطة بها.

جدول رقم (5): البؤر الاستيطانية المقامة على أراضي محافظة طوباس والأغوار الشمالية

الرقم	اسم البؤرة الاستيطانية	الأرض الفلسطينية المقامة عليها البؤرة	المستوطنة الأم التابعة لها	سنة التأسيس	المساحة التقديرية (دونم)
1	شمال غرب شدموت	قرية الفارسية خلة خضر	شدموت ميخولا	2002	100
2	جنوب روتم	قرية أم الجمال	روتم	2004	10
3	جفعات سلعيت	قرية الفارسية احميّر	ميهولا	2002	100
4	بروش هبيكا	قرية عين الحلوة	مسكيوت	2013	110

المصدر: معهد أريج (2018أ) و(2021) Washington Institution

وتبين الخرائط أن مواقع البؤر الاستيطانية، تكمل مهمة المستوطنات في محافظة طوباس، خاصة أنها جميعها تتمركز حول المستوطنات غرب المحافظة، أي أنها أقرب لتمكين السيطرة على المنطقة الحدودية مع الأردن، والإحاطة بأي تجمع سكاني فلسطيني في المنطقة، مثل خربة مكحول والبقاع الشرقية.

جدار الفصل العنصري

يقع الخط الأخضر شمال غرب محافظة طوباس، وهناك تماس مباشر بين أراضي محافظة طوباس ومدينة بيسان داخل الخط الأخضر، وقد أقام الاحتلال جدار الفصل العنصري في هذه المنطقة ليفصل بين المنطقتين، إذ يعتبر الدافع الأمني أحد المحددات التي استند عليها الاحتلال في بناء الجدار حول محافظة طوباس، ويبلغ طول الجدار المقام على أراضي محافظة طوباس نحو سبعة كيلومترات كما يظهر في الخريطة رقم(2)، وقد عزل خلفه مساحة قدرت بـ 2034 دونمًا (2 كم2) من أراضي المحافظة (OCHA, 2021).

أما بالنسبة للأراضي المعزولة خلف الجدار، فنصفها، -أي نحو 1000 دونم، هي أراضٍ زراعية بات يحتاج أصحابها لتصاريح للدخول إليها، كما أن نحو 800 متر مربع مصنفة على أنها أراضٍ مفتوحة، ونحو 200 متر مربع مصنفة على أنها منطقة جدار (معهد أريج، 2018أ). وبذلك تكون محافظة طوباس هي من أقل المحافظات في الضفة الغربية من حيث مساحة تعدي الجدار على أراضيها، واختراقه لها، وحجم الأراضي المصادرة لصالح بناء الجدار، أو التي ضمها خلفه. وقد يكون سبب ذلك هو أن معظم أراضي طوباس مصنفة كأراضي"ج"، وخاصة تلك المحاذية للجدار.

أما المنطقة الفاصلة التي أنشأها الاحتلال شرق محافظة طوباس لتفصل أراضي المحافظة مع الأردن، فيبلغ طولها 24 كم، كما أنه صادر نحو 24 ألف دونم من أراضي المحافظة لصالح المنطقة العسكرية الفاصلة مع الأردن، حيث يتراوح عمق المنطقة بين كيلومترٍ واحد و2.5 كم (OCHA, 2021).

الطرق الالتفافية

الطرق الالتفافية هي إحدى الوسائل الفعالة للسيطرة على الأراضي الفلسطينية التي يلجأ إليها الاحتلال في كافة محافظات الضفة الغربية ضمن إطار العملية الاستيطانية، وقد تفعلت هذه الطرق بعد توقيع اتفاقية أوسلو، بسبب سعي الاحتلال لإيجاد طرق خاصة للمستوطنين في ظل إنشاء سلطة فلسطينية، ولتسهيل التواصل بين المستوطنات والبؤر الاستيطانية.

وقد بلغ طول الطرق الالتفافية التي شقتها سلطات الاحتلال على أراضي محافظة طوباس، 55 كيلومترًا (معهد أريج، 2018أ).

وهناك طريقان التفافيان يقطعان أراضي طوباس: الطريق الأول هو الطريق رقم 90 الذي يمتد من شمال المحافظة، وتحديدًا من حدود المحافظة مع مدينة بيسان، وصولًا إلى جنوبها قرب مستوطنة حمدات، ويصل هذا الطريق جميع المستوطنات الواقعة قرب الحدود مع الأردن شرق المحافظة ببعضها بعضًا (مستوطنات مخولا، شدموت مخولا، حمدات). أما الطريق الثاني فهو الطريق رقم 578، الذي يمتد من شمال غرب المحافظة أيضًا حتى جنوبها من منطقة الوسط، ويصل بين مستوطنات (روتم، مسكيوت) وصولا إلى بكاعوت في الجنوب (Google, 2021).

خريطة رقم (3): مسار الطريقين الالتفافيين (90) و(578) في محافظة طوباس. المصدر (Google, 2021).

الحواجز العسكرية

لم يتخل الاحتلال عن سياسته في نصب الحواجز العسكرية في محافظة طوباس، رغم سيطرته على مساحات واسعة من أراضي المحافظة تحت تصنيف أراضي (ج)، وقلة عدد الفلسطينيين الساكنين في هذه المناطق. ورغم قلة عدد الحواجز في محافظة طوباس مقارنة ببقية المحافظات في الضفة الغربية، إلا أن الاحتلال أقام عددًا منها، وأهم هذه الحواجز في مناطق (ج) هو حاجز تياسير، حيث يقع شرق محافظة طوباس، ويعرقل حركة الفلسطينيين عليه، خاصة أنه مقام على بداية الأراضي المصنفة (ج)، ويفصل المناطق المصنفة (أ) و (ب) عن مناطق (ج)، مثل قرية تياسير والثغرة ومدينة طوباس، إذ يسمح بدخول السيارات التي تحمل عنوان السكن في الأغوار (بيتسيلم، 2018ب).

كما نصب الاحتلال بوابتين حديديتين شمال محافظة طوباس، وخلف هاتين البوابتين الأراضي الزراعية المصادرة خلف الجدار، إضافة إلى إقامة عدد من الحواجز العسكرية المؤقتة والمفاجئة بشكل شهري، فقد شهد الربع الأخير من عام

2019 إقامة 14 حاجزًا مفاجئًا على أراضي محافظة طوباس، حسب بيانات دائرة شؤون المفاوضات في منظمة التحرير الفلسطينية (2019).

المعسكرات والقواعد العسكرية

كثف الاحتلال من تواجده العسكري والأمني على أراضي محافظة طوباس، بعد أن بسطت قوات الاحتلال سيطرتها على أراضي الضفة الغربية، وتتبين أهمية محافظة طوباس بالنسبة للاحتلال عند معرفة حجم التواجد العسكري، المتمثل بالمعسكرات والقواعد العسكرية المقامة على أراضي المحافظة، فقد بلغت مساحة الأراضي التي أقيمت عليها المعسكرات نحو 15 ألف دونم (معهد أريج، 2018أ).

ويبلغ عدد المعسكرات والقواعد العسكرية التابعة لجيش الاحتلال في محافظة طوباس 7 قواعد، إلا أن اللافت في هذه المعسكرات، أن ستة منها تقع ضمن نطاق المستوطنات في الجانب الشرقي من المحافظة، ومنها ما هو مسمى على أسماء المستوطنات، مثل معسكر حمدات الواقع قرب مستوطنة حمدات جنوب شرق المحافظة، وهو معسكر مقام على أراضي قرية خربة مكحول غرب المستوطنة، ومعسكر بكاعوت الذي يحمل اسم المستوطنة القريبة منه، والواقعة على أراضي خربة سمرة، وقد أقام الاحتلال معسكرًا آخرَ على أراضي خربة سمرة، وهو معسكر سعورا، كما أقام معسكر الناحل في منطقة وادي المالح غرب مستوطنة شدموت محولا، ومعسكر موفيه المقام في سهل البقيعة، و معسكر ترستيا. وهناك معسكر وحيد يقع في الشق الغربي من المحافظة، وهو معسكر ربيوت، المقام على أراضي قريتي تياسير وطمون، ويتبع له حاجز عسكري في المنطقة كذلك (وفا، 2019 ؛OCHA, 2021).

من الملاحظ أن المستوطنات في هذه المحافظة، تقدم خدماتها بشكل كبير للقواعد العسكرية المقامة قربها، خاصة وأن المعسكرات كبيرة، وتجري فيها تدريبات عسكرية مستمرة.

ثالثاً: أبرز المشاريع الاستيطانية الصهيونية في محافظة طوباس والأغوار الشمالية

عمل الاحتلال على مصادرة أراضي محافظة طوباس والأغوار الشمالية تحت أكثر من ذريعة، أولى هذه الذرائع كانت تحت بند المحميات الطبيعية، وقد استند الاحتلال في ذلك إلى قرارين عسكريين، هما قرار رقم 363 لسنة 1969، وقرار رقم لسنة 1970، وهي قرارات أصدرها الحاكم العسكري للتصرف بالمحميات الطبيعية والحدائق الوطنية، بما يسميه الاحتلال "يهودا والسامرة"، أي الضفة الغربية، وتحت هذا البند صادر الاحتلال 78 ألف دونم من أراضي محافظة طوباس، أي ما يعادل 19.3% من مجمل مساحة المحافظة (معهد أريج، 2018أ).

وقد استغل الاحتلال قانون المحميات الطبيعية لبناء المستوطنات، خاصة في منطقة شمال البحر الميت ومناطق الأغوار الشمالية، وتبلغ نسبة الأراضي المصادرة والمصنفة على أنها محميات طبيعية في غور الأردن والأغوار الشمالية، 5.6% من مجمل الأراضي المصادرة تحت هذا البند في الضفة الغربية والقدس (B'TSELEM, 2011).

أما مناطق "إطلاق النار" التي تقع ضمن مناطق (ج)، ويسيطر عليها الاحتلال بشكل كامل، فقد بلغت مساحتها حوالي 189 كم^2، حسب تحليل الباحث للخريطة التفاعلية لأوتشا (OCHA, 2021). هذا يعني أن مناطق إطلاق النار تمثل ما نسبته حوالي 46% من مساحة محافظة طوباس الكلية، و 59% من مساحة مناطق (ج) في المحافظة.

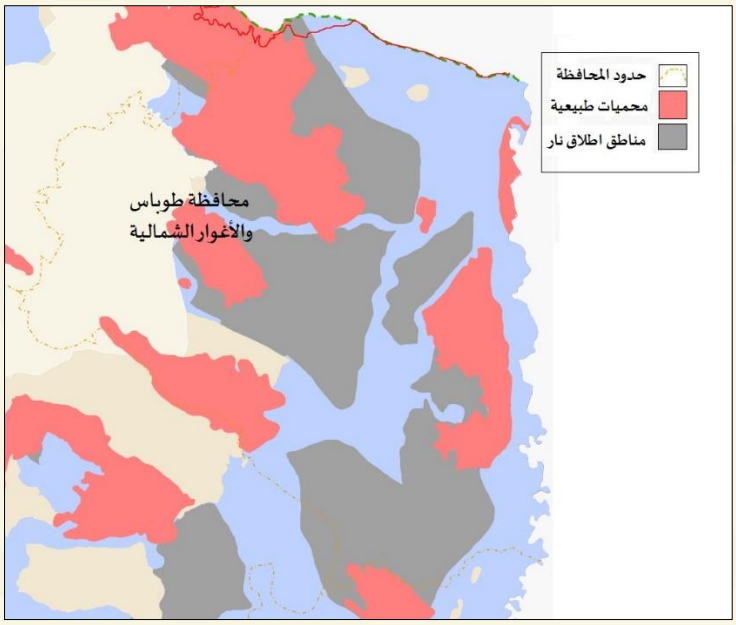

خريطة رقم (4): المحميات الطبيعية ومناطق إطلاق النار في محافظة طوباس والأغوار الشمالية. المصدر: (OCHA, 2021).

كما يعمل الاحتلال على إصدار أوامر عسكرية بمصادرة الأراضي لأغراض أمنية وعسكرية، مثل ما حصل في عام 2019، عندما أصدر جيش الاحتلال أمرًا عسكريًا يقضي بإغلاق نحو 49 ألف دونم من أراضي الأغوار الشمالية لأغراض أمنية (معهد أريج، 2019أ).

شرع الاحتلال في العامين الأخيرين بإنشاء بؤرة استيطانية جديدة، تتبع لمستوطنة شدموت مخولا على أراضي قرية وادي المالح جنوب المستوطنة، وعلى مسافة تبعد نحو كيلومتر واحد منها (معهد أريج، 2018ب). كما شرع بإنشاء بؤرة استيطانية جديدة على أراضي قرية عين الحلوة في محافظة طوباس، على أرض تبلغ مساحتها 70 دونمًا (معهد أريج، 2019ب).

الخاتمة

رصد هذا الفصل انتهاكاتٍ مختلفة مضى بها الاحتلال لترسيخ وجوده على أراضي محافظة طوباس، من خلال مشروع استيطاني ممتد منذ اللحظة الأولى التي اكتمل فيها احتلال الضفة الغربية عام 1967، فقد عمل الاحتلال على إقامة قواعد عسكرية على أراضي المحافظة ليسيطر على المنطقة الحدودية مع الأردن، وهو ما يبينه حجم المعسكرات البالغ نحو ضعف مساحة المستوطنات.

الشكل الآخر من أشكال المشروع الاستيطاني الذي بدأه الاحتلال في المحافظة، هو إقامة المستوطنات، وقد استمرت عملية البناء بين عامَيّ 1968 و1986، إذ بنى الاحتلال خلالها سبع مستوطنات بمساحة وصلت لنحو 8 آلاف دونم، كما أنه بدأ في مطلع القرن الحالي بإقامة بؤر استيطانية متفرقة تتبع للمستوطنات القائمة.

كما استغل الاحتلال توقيع اتفاق أوسلو، وعمل على أن تكون أغلب الأراضي التابعة لمحافظة طوباس تحت سيطرته الأمنية، من خلال تصنيفها كمناطق (ج)، كما واصل بناء الجدار الفاصل شمال غرب المحافظة عند حدودها مع منطقة بيسان، الواقعة داخل الخط الأخضر.

أما أهداف العملية الاستيطانية في محافظة طوباس، فقد تبين من خلال البيانات والخرائط التي تم جمعها، أن الاحتلال يسعى لتحقيق ثلاثة أهداف رئيسة، أولها خدمة المستوطنات للمعسكرات التابعة لجيش الاحتلال، إذ إن المعسكرات والقواعد العسكرية قريبة من المستوطنات وفي نطاقها، والمستوطنات في هذه المحافظة مساحاتها صغيرة، لكنها تقدم خدمات للجنود في المعسكرات، خاصة في ظل قلة عدد المستوطنين في هذه المستوطنات.

أما الهدف الثاني، فهو تحقيق إنتاج زراعي عالٍ من المناطق الواقعة في نطاق المستوطنات، والأراضي التي يسيطر عليها الاحتلال، خاصة أن الأغوار الشمالية هي منطقة سهلية مناسبة للزراعة، وقد تبين ذلك من خلال كمية المياه المخصصة للأغراض الزراعية في هذه المستوطنات، والتي وصلت لأكثر من 41 مليون متر مكعب سنويًا، في المقابل، العمل على حرمان الفلسطينيين من الزراعة في أراضيهم، وعرقلة العملية الزراعية هناك.

وثالث الأهداف من العملية الاستيطانية، هو السيطرة على الحدود مع الأردن، والقضاء على أي تواجد فلسطيني في تلك المنطقة، خاصة أن المستوطنات والمعسكرات مقامة في الجانب الشرقي من المحافظة، وعلى خط ممتد من شمال المحافظة وحتى جنوبها، مما يمنح الاحتلال تفوقًا في السيطرة على تلك المنطقة.

المراجع

- الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني (2021). عدد السكان المقدر في منتصف العام لمحافظة طوباس والأغوار الشمالية حسب التجمع 2017-2026. تم الاسترداد من: https://www.pcbs.gov.ps/statisticsIndicatorsTables.aspx?lang=ar&table_id=696
- الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني . (2020). المستعمرات الإسرائيلية في فلسطين. تم الاسترداد من: http://www.pcbs.gov.ps/Downloads/book2395.pdf
- الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني . (2018). الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني يعلن نتائج التعداد لعام 2017 في محافظة طوباس والأغوار الشمالية. تم الاسترداد من: http://www.pcbs.gov.ps/postar.aspx?lang=ar&ItemID=3213
- الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني . (2011). كتاب محافظة طوباس الإحصائي. رام الله، فلسطين. تم الاسترداد من: http://www.pcbs.gov.ps/Downloads/book1743.pdf
- الموسوعة الفلسطينية. (2013). ألون "مشروع". عمان، الأردن. تم الاسترداد من: https://www.palestinapedia.net/%D8%A2%D9%84%D9%88%D9%86-%D9%85%D8%B4%D8%B1%D9%88%D8%B9/
- بيتسيلم. (2018أ). أزمة المياه. القدس، فلسطين. تم الاسترداد من: https://www.btselem.org/arabic/water/statistics
- بيتسيلم. (2018ب). قائمة الحواجز العسكرية في الضفة الغربية وقطاع غزة. تم الاسترداد من: https://bit.ly/2BSskRb
- دائرة شؤون المفاوضات. (2019). التقارير الشهرية. تم الاسترداد من: https://www.nad.ps/ar/violations-reports/monthly-report
- لجنة الانتخابات المركزية. (2012). خرائط المناطق الانتخابية – منطقة طوباس الانتخابية. تم الاسترداد من: https://info.wafa.ps/userfiles/image/elec-map4.gif
- ماس. (2017). تجمعات شرق طوباس. تشخيص الموارد الاقتصادية المحلية. رام الله، فلسطين. تم الاسترداد من: https://www.mas.ps/files/server/UNDP/Tubas%20-%20clean.pdf
- معهد أريج. (2019أ). أمر عسكري بشأن إغلاق آلاف الدونمات الزراعية في الأغوار الشمالية \ محافظة طوباس. تم الاسترداد من: https://bit.ly/38UR0o5
- معهد أريج. (2019ب). الشروع بإنشاء بؤرة استعمارية جديدة في منطقة الأغوار الشمالية \ محافظة طوباس. تم الاسترداد من: https://bit.ly/2ZjPNTr
- معهد أريج. (2018أ). الوضع الجيوسياسي في محافظة طوباس. تم الاسترداد من: http://poica.org/wp-content/uploads/2018/10/Tubas.pdf
- معهد أريج. (2018ب). إنشاء بؤرة استعمارية جديدة في منطقة الأغوار الشمالية محافظة طوباس. تم الاسترداد من: https://bit.ly/35PEpB4
- وزارة الحكم المحلي. (2021). نظام وزارة الحكم المحلي المتكامل لإدارة المعلومات المكانية. تم الاسترداد من: https://geomolg.ps/L5/index.html?viewer=A3.V1
- وفا. (2019). معسكرات وقواعد عسكرية إسرائيلية في محافظة طوباس والأغوار الشمالية. تم الاسترداد من: http://info.wafa.ps/ar_page.aspx?id=20142

- B'TSELEM. (2011). Dispossession and exploitation, Israel's policy in the Jordan valley and northern Dead Sea. Jerusalem, Palestine. Located from: https://www.btselem.org/download/201105_dispossession_and_exploitation_eng.pdf
- Google Maps. (2021). Retrieved from: https://www.google.com/maps

- OCHA interactive Map. (2021). Retrieved from: https://xmaps.maps.arcgis.com/apps/View/index.html?appid=d4385754a4dc48f1a2781df0c999950f&extent=32.6809,30.6899,37.2951,32.8381
- Washington Institute. Interactive Map. (2021). Retrieved from: https://www.washingtoninstitute.org/westbankinteractivemap/